دراسة رمزية لصورة الضّبع وسرب الغزال في قصيدة مصر للشاعر تميم البرغوثيّ

أ.م.د. محمد دزفولي (الكاتب المسؤول)

الباحث. محمود مسلمى

كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة طهران/ إيران

A study of the symbols of hyena and herd of antelope in poet Tamim Al-Barghouthi's ode Mesr

Ass. Prof. Dr. Muhammad Dezfouli (Corresponding Author)

Mahmood Moslemi

Faculty of Literature and Humanities\ University of Tehran\ Iran

m.moslemi70@gmail.com

Abstract:

Using "Figures of Thought/Speech" (or as abbreviated so forth: "Figures") is, generally speaking, a literary technique to make the recipient pleasure and impress her or him. These figures have important symbols within, and everybody can learn from them. Great Arab poets, both ancient and contemporary, have tried their best to make figures in their poems. They use figures to say their subject indirectly, because by indirect speaking, they can talk about political and social affairs of their society; and more importantly, indirect speaking is, in comparison with direct speaking, more beautiful and excites the recipients more. One the contemporary poets who is brilliant in making figures is poet Tamim Al-Barghouthi. One of his famous odes is named Mesr (Egypt). There, Al-Barghouthi advocates Islamic nations (Islamic Ummah) and stands against their predator enemies. Hyena is the symbol used to refer these enemies and also to any cruel person who wants to destroy Islam's sacredness. A herd of antelope is the symbol of Islamic nations who are not united and therefore are dispersed. The poet wishes and seeks the herd of antelope (Arab nations) to unite and resist against hyena (their common enemy). In other words, the poet invites, using figures and with a symbolic language, all Arab nations to brotherhood and to unite against enemies. Last to say is about the method of this study; it is descriptive-analytic.

Keywords: Blank Verse, Symbol, Figure of Thought, Tamim Al-Barghouthi.

الملخّص:

باتت ظاهرة الصّور على وجهها العام، في يومنا هذا، وسيلة فنيّة يعزف عليها الشّاعر أغنية التّأثير والإدهاش مع التجسيد الجمالي لأن تستسيغها سرائر المتلقين مستمتعين بما يحوكه لهم الشاعر بفرطته السّليمة، من صور قشيبة إذ إنّها تحمل في ثناياها رسالة رمزية مؤداة إلى جلّ المخاطبين.هذا وقد عَكفَ عليها عددٌ هائلٌ من فحول الشّعراء القدامى في العالم العربي كما هو الحال عندَ الشّعراء المعاصرين إذ كانوا يبذلُونَ طاقةً كبرى لها وفي حقيقة الأمر أنّ الدافع الرئيس الذي يحدو بهم إلى استخدام مثل هذه الصّور، هوعدم البوح والتّلميح إلى ما يجول في قرارة أنفسهم ودخيلتها حيث إنّهم عبر خلق هذه الصّور تتسنّى لهم الإشارة إلى بعض القضايا السياسيّة أو الاجتماعيّة المرتبطة بمجتمعاتهم وهكذا يلاحظ أنَّ الشّاعر تميم البرغوثي يعدُّ من الشّعراء المعاصرين الذين يتمتّعون بقدرة فائقة في إبداع الصّور والمشاهد الجميلة بمكوّنات طريّة ومثيرة للإعجاب في قصائدهم منها: قصيدتُهُ الشّهيرة المسمّاة بـ«مصر» فبان الشّاعر أنّه يقف إلى جانب البلدان الإسلاميّة تجاه الأعداء شاهرا سيف شعره إليهم راسماً للمتلقين صورة أعدائهم البشعة على شكل بعض الحيوانات الشرسة الدالة على سجيتها العفنة كالضبع وهي رمز لكلّ ظالم قشيم يبغي المساس بقداسة الإسلام والنيل منه كما تظهرفي هذه القصيدة، صورة المسلمين على شكل أسراب من الغزلان التي لا تجمعها كلمة واحدة وإثر حلول الشّتات بها فيتمنّى لو تغدو يدا واحدة أمام أعدائها لتنال منها نيلا عرمرما وبعبارة أخرى؛ ينوي الشّاعر من خلال تقديم هذه الصّور أن يلملم شتاب المسلمين

داعيهم إلى الوحدة والتآخي ضدّ ألدّ أعداهم وبرز هذا كلّه على شكل رموز وصور وأخيراً حريٌ بالذكر في أنّ منهج هذا البحث يركنُ إلى المنهج الوصفيّ والتّحليليّ.

الكلمات المفتاحيّة: قصيدة النّثر، الرّمز، الصّورة، تميم البرغوثيّ.

المقدّمة:

لم يكن من المبالغة والإجحاف بحقّ شاعر لو تمّ القول بأنَّ الشّاعر تميم البرغوثي يعدُّ من ألمع وأبرز الشّاعر المعاصرين في فلسطين في حقل الشّعر المقام والحال يلاحظ أنّه جعل جلّ شعره غيثا وخيرا يستقي الشّعب والمسلمون منه لأن يُذهبوا عنهم غليلهم وعطشهم، ظهر ذلك كلّه نتيجةً لانعدام الوحدة والتآخي في أوطانهم فالشاعر رأى على نفسه لزاما أن يكون لهم معينا زاخرا بحبر كلماته ومدافعا عنهم بلسان شعره ثمّ ينوي التّلويح إلى أنَّ جميع أعداء أمّته متربّصون بالمسلمين الدوائر ويتحيّنون الفرص لينالوا من المسلمين نيلا مُرّا ويوقعوا بهم الأذى لأن تذهب ريحهم وتخبو نارهم في جميع الأنحاء فمع كل ما سبق قوله آنفا، بان أنّ الشاعر يدعو في قصيدته المسماة بمصر، جلّ المسلمين إلى تحقيق الوحدة الشّاملة والتّناصر دفاعا وذودا عن كرامتهم وحقوهم كما أنّه يشير إلى أنَّ عدوّهم لا حول له ولاقوة ولكنه يعلم مواقع الخوف وله دراية كاملة بها وبعبارة أخرى أنّه عالم بتشتت الأمّة ومواطن وهنا وضعفها فإذاً على المسلمين أن يكونوا يدا واحدة حتّى يعمّ الأمن والسّلام بلاد المسلمين قاطبة.

الأسئلة والفرضيات:

- ✓ كيف ظهرت مواقف الشّاعر في هذه القصيدة؟
- ✓ إلى ماذا يدعو الشّاعر من خلق هذه الصّور ؟
- ✓ بأيّ صورة، مثّل الشّاعر صورة الأعداء ؟
- ✓ ما مدى براعة الشّاعر في خلق التّصاوير ذات الطّابع الرّمزي؟

بناء على هذه الأسئلة التي ذُكرت، يُسعى إلى إثبات الفرضيات التّالية:

– للشاعر في هذه القصيدة مواقف وطنيّة إسلاميّة باهرة إذ يبذل الغالي والنفيس لوطنه ويشهر سيفه دفاعا عن شعبه معتقداته.

– يدعو الشّاعر من خلال صوره، المسلمين، إلى التآخي والتّناصر مع نبذ التّفرقات والتّخاذل في جميع الأحوال.

– صوّر الشّاعر، الأعداء على هيئة ضبع والمسلمين على شكل غزلان متشتّة غير متّحدة والضّبع تسعى إلى افتراسها وسلب ما منحها الله.

– كان الشّاعر موفقاً في خلق هذه الصّور إذ أعطاها صبغةً رمزيّةً وأتموسفيراً دينيّاً، سياسيّاً.

خلفيّة البحث:

درس عددٌ من الباحثين شعرَ الشّاعر تميم البرغوثيّ منهم:

١. رواق، خالصة، حوار المذهب والثّورة في شعر تميم البرغوثيّ، قراءة في قصيدة نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمّة(٢٠١٥م): تتطرّق الباحثةُ في رسالتها الجامعيّة لنيل الماجستير، إلى حياة تميم البرغوثيّ والآراء حولَ شخصيته وهكذا المذاهب الدينيّة ومفهوم الثّورة مع قراءة مقتضبة وعابرة لقصيدة نثر موزون وشعر منثوربحيث تناولت الباحثةُ جماليّة الاستهلالات النّصيّة والخواتيم النّصيّة وجماليّة المظاهر اللّغويّة، وجماليّة الأنساق اللّغويّة المتضادّة واللغويّة المتوازيّة كما أنّها عالجت التّناص الدّينيّ في هذه القصيدة بشكل مختصر جداً دونَ التّعمق والخوض في التّفاصيل المهمّة لهذه القصيدة كمعالجة الرموز وما تكمُن في مطاويها.

٢. شرتح، عصام، تميم البرغوثي، دراسات نصيّة في المحفزّات الجماليّة ومختارات شعريّة(٢٠١٢م): لقد تناول الباحثُ في هذا الكتاب، جماليات الصّورة الشّعرية وجماليّة الاستهلالات اللّغويّة، اللغويّة المتوازيّة التي ذكرت في الدّراسة الماضية وهكذا درس إضاءات نقديّة في المفاصل النّصيّة لعدد من قصائد تميم البرغوثيّ وفي الأخير قام بذكر مختارات شعريّة من شعره.

قصيدة النّثر (من سوزان برنار إلى سماتها الخاصّة)

تعتبر القصيدة النثرية، ثورة جديدة في الشّعر العربيّ الحديث وفي الواقع أنَّها تعبير عن وحدة الكلام في الموضوع والمضمون من البداية إلى النّهاية فيشاهد أنَّها تعبّر عن خلجات النّفس ونوازعها النّابعة من القلب كما ينبع الشّعر من الإحساس والوجدان والعاطفة، فالقصيدة النّثرية في بعض الأحيان تظهر فيها القافية وحتى الوزن وفي بعض الأحيان تخلو من هذين العنصرين الأساسيين ولكنَّها لم تفقد إسجاعها وتماسك أضلاعها ولا شعورها المندفق في أعماق النّفوس فمع كلّ ما ذكر نجد أنَّ سوزان برنار تحدّد قصيدة النّثر على النّحو التالي فتقول: « إنَّ قصيدة النّثر هي تماماً، نوع مختلف، ليس هجيناً، في منتصف الطّريق بين الشّعر والنّثر، لكنَّه شعر خاصّ، بمثابة نثر إيقاعي مكتوب بشعريّة رهيفة، يفترض بنية وتنظيما، بكلّ ما فيها، إذ يبقى أن نعلن القوانين: قوانين ليست صريحةً فقط، إنَّها عميقة، عضوية، مثلما هي الحال في كلّ نوع فني حقيقي، وتعتبر قصيدة النثر في منطلقها ردّ فعل على المعايير وأشكال الجمال المطلق للقرن السّابع عَشَرَ، يمكن أن تعتبر شكلاً حديثاً للشعر» (بزون أحمد، ١٩٩٦م: ص٥٦)

يعتقد محمدحمودبأنَّ: «قصيدة النّثر هي ترجمة حرفية لمصطلح غربى"poem en prose" تكتب كما يكتب النّثر تماماً، أي هي تدفّق، تقدّم مستمرّ وجدت لتحديد بعض كتابات رامبو النّثرية الطّافحة بالشعر كموسم في الجحيم وإشراقات، ولها أصول عميقة في الآداب كلّها ولاسيّما الدينيّ منها والصّوفي» (حمود محمد، ١٩٩٦م: ص١٨٩)

فعلاً أنَّ القصيدة النّثرية هزّة جميلة وغذاء روحي لذيذ يمتزج بماء عذب ونسيم شمالي يهبُّ على الوجنات حاملاً معه ريحة الأحباب وفي الواقع هي نثر غايته الشّعر إذ يقول كمال خير بك عن هذه القصيدة: «نحن نفهم بقصيدة النّثر مجموع العمل الشّعري المحرّر من الإيقاع والقافية المميّزين للنظم. وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا النّوع من الشّعر المحرّر كان يقدّم نفسه وفق شكلين من الكتابة أو التّنظيم الخطي: الأوّل هو الشّكل المدعوّ، عموماً، بالشعر المطلق والثّانيّ هو الشّكل النّثريّ بصريح التّعبير والذي يحتكر تسمية قصيدة النّثروفيما تمثّل الشّكل الأوّل في أعمال الماغوط وجبرا إبراهيم جبرا وتوفيق صايغ، تمثّل الشّكل الثّانيّ في نتاج أدونيس وأنسي الحاج وشوقي أبي شقراء وعصام محفوظ ويوسف الخال» (خيربك كمال، ١٩٨٦م: ص٣٥٥)

ويذكر أنطوان أبو زيد التّعريف الذي قدّمه أنسى الحاج عن قصيدة النّثر، فيقول: «كان أنسي الحاج أسبق شعراء النّثر ونقّاده إلى التّعريف بقصيدة النّثر وتبيان عناصرها التي تتكوّن منها: فهي بنظره، ذلك العلم المستقل الكامل المكتفي بنفسه، وهي الصّعبة البناء من تراب النّثر وهي نتاج الشّاعر الحقيقيّ الذي لا يفضّل الارتياح إلى أدوات جاهزة وباليّة تكفيه مؤونة النّفض والبحث والخلق، على مشقّة ذلك» (أبو زيد، ٢٠١٢م: ص٧)

ثمّ يتابع ملخّصاً قول أنسي الحاج: «يستفاد من ذلك كلّه أنَّ تصور الشّاعر أنسي الحاج لقصيدة النّثر، من حيثُ هي التمرّد الأقصى على البُنى الشّعرية التقليديّة وبعبارة أخرى هي: انتافضة فنيّة ووجدانية معاً، أو فيزيكية وميتافيزيكيّة» (*المصدر نفسه، ص١٠-١١*)

فمن خلال ما تقدم يتعيّن علينا، الذكر بأنَّ القصيدة النّثريّة كسائر الأصناف الشّعرية، تتّسم بسمات خاصّة ومن تلك السّمات يمكن الإشارة إلى ما حدّده أحمد سالم الغوج فيقول عنها:

١. إنّها خالية من الوزن العروضي والقافية وتعتمد على موسيقى الألفاظ والتراكيب.
٢. تهتمّ بالصّور الفنيّة والمجاز والجمال الفني.
٣. معبّرة عن ذات الشّاعر ومكنوناته الوجدانيّة.
٤. درامية الأفكار ومن خلال درامية الأحداث وعمق الرؤية والتجربة.
٥. تعتمد على قوة العاطفة في التّأثير على القرّاء» (سالم الغوج، ٢٠١٣م: ص١٩٤)

غايةُ ظهور قصيدة النّثر في الأدب العربيّ وجذورها

لاغروَ في أنَّ قصيدة النّثر مثل الشّعر الحرّ، تضمُّ بين دفتيها بعضَ الأهداف على سبيل المثال، يقول الدكتور صادق خورشا عن ظهور قصيدة النّثر في الشّعر العربيّ المعاصر مع حركتها: «إنَّ ظهور قصيدة النّثر في الشّعر العربيّ المعاصر ارتبط ارتباطاً إيدولوجيّاً بروّادها، فهي لم تكن مجرد حركة إنقلاب على الشّكل أو القوالب أو الأنماط المتوازنة مثلما كان الحال مع حركة الشّعر الحرّ أو ما سبقه من تجديد في الشّكل» (خورشا، ١٣٩١ش: ص٢١٩)

ثمَّ يواصل مبيّناً هدفَ حركة التّحول إلى قصيدة النّثر: «بأنَّ حركة التّحول إلى قصيدة النّثر كان وراءَها هدفٌ إيدولوجيٌ يعمد ليس إلى تحويل القصيدة إلى شكل جديد غير مألوف بل يريد طرح تلك الموروثات الثّقافيّة التي غذّت القصيدة التقليديّة» (*المصدر نفسه*: ص٢١٩)

وأمّا بالنسبة إلى جذورها فالبعضُ يرى أنَّ القصيدة النّثريّة مستوردة البناء والشّكل بكامل سماته من الغرب فأتى إلينا هذا الصّنف في مطلع القرن الماضي من قبل بعض الروّاد المتأثرين بشعراء الحداثة الغربيين نحو: ت.س. إليوت الإنكليزي ورامبو الفرنسي واعتبروا هذا الصّنف دخيلاً على الشّعر العربيّ فيقول باروت عن جذور هذه القصيدة«إنَّ قصيدة النّثر العربيّة، ليست إضافة خارجية، بل إنَّ لها جذوراً في التّراث الكتابيّ العربيّ، وفي لحظات ثلاث منه هي: القرآن، الشّعر الصّوفيّ، أدب جبران.فمثلما كان القرآن الدواين الأدبي للحركة الإسلامية، والشعر الصوفي، الديوان الأدبي للحركة الصوفية الاجتماعية، كان أدب جبران الديوان الأدبيّ للتّحولات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة في مطلع هذا القرن...» (فائز العراقي، ٢٠٠٨م: ص٧٨)

ويقول أحمد سالم الغوج عن ظهور قصيدة النّثر في الوطن العربيّ أيضاً: «بداية قصيدة النّثر الفعليّة في الوطن العربيّ ترجع إلى جماعة "مجلة شعر" التي أسست في بيروت سنة ١٩٧٥م بإدارة كلّ من يوسف الخال وخليل حاوي ونذير العظمة وأدونيس.ثمّ انضمّ إليها شوقي أبو شقرة وأنسي الحاج. ودعمها من الخارج جبران وسلمى خضراء الجيوسي» (سالم الغوج، ٢٠١٣م: ص١٩٣)

الرّمز في الشّعر

حظي الرّمز باهتمام جميع الشعراء لا سيّما العصر المعاصر لإنَّهُ حجاب منسدل على النصّ وينوي الكاتب من هذا الحجاب أن يدعو المتلقي إلى التّدقيق وفي الواقع، يمتاز الرّمز بالغموض والإبهام وفرة الدّلالات وبهذه المواصفات يترك الكاتب تفسير النص وفهمه على المخاطب وذلك إتساعاً لفحوى كلامه من جهة وغموضه من جهة أخرى فنرى أحمد سالم الغوج يقول عن الرّمزية «الرمزية هي فن التعبير عن الأفكار والعواطف ليس بصورة مباشرة أي: التّعبير عنها برموز غامضة وفي الواقع هي طرية الأداء الأدبي التي تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر لإثارتهما بدلاً من تقريها أو وصفها أو تسميتها بهدف توكيد المشاركة الوجدانيّة بين الشّاعر والمتلقي من طريق الإعتماد على وسائل الإيحاء في الأصوات والتراكيب»(*المصدرنفسه*: ص١٢١)

ويقول النّقاد إيليا حاوي عن سبب استخدام الرّمز «يستخدم الرّمز بوصفه وسيلة فنية لتحقيق غايات موضوعيّة وأخرى جماليّة ونفسية تختلف تبعاً لأهداف الإتّجاهات الأدبيّة وفلسفات أصحابها وميولهم الشخصيّة»(الحاوي، ١٩٨٣م: ص ١٤٢)

في هذا الجانب يعتقد الباحثون أنَّ سبب ميلان الشّعراء إلى إخفاء المعاني وعدم التّصريح بهابواسطة هذه الرّموز، هو أن يزيدوا الشّعر إبهاماً وذلك إنزياح عن الكلام العاديّ ليكون صورةً أسمى من بين أنواع الصّور الشّعريّة وفي الواقع تعتمد الرّمزية على خصائص مختلفة ومن هذا يمكن ذكر الخصائص التي بيّنها يوسف عيد فيقول عنها«١.ضد الواقعيّة وردّاً على الرومانسيين الذين حاولوا أن يصفوا العواطف الفرديّة بلغة صريحة ٢.تعتمد على سيطرة الإيحاء على كل ما عداه سيطرة تجعل الرّمز دلالة أوليّة على المعانيّ العقليّة والمشاعر العاطفيّة٣.الإيجاز وغير المباشرة٤.بعيدة عن التّصريح والإفصاح المباشر وتميل إلى الغموض والإبهام الذي هو عنصر قوّتها٥.صورهم رمزيّة غامضة٦.ألفاظهم وتعابيرهم موسيقيّة عذبة رنّانة» (عيد، لاتأريخ: ص٢١٢)

هذا وأنَّ فائق مصطفى يذكر فلسفة الرّمزيين قائلاً: «هجر الرّمزيون الواقع المحسوس، ونأوا بأنفسهم عنه وذلك لأنَّ فلسفتهم كانت تقوم على أساس أنَّ العالم الماديّ الذي نعيش فيه اليوم ونحسّهُ وأنَّهُ رمز لعالم غير محسوس وأنَّ مظاهر الكون الماديّة كافة

ليست إلّا رموزاً لحقائق أخرى أسمى وأعظم ومن تلك الحقائق أو الماديات التي نراها ونلمسا في العالم المحسوس(مصطفي، ١٩٧٩م، ٧٩، نقلاً عن الغوج، ص ١٢٠)

يذكر غازي يموت مؤكداً على أنَّ الرّمز في التّعبير الشّعريّ لا ينبغي أن يتحول إلى لغز فهو على حدّ ذاته يخالف بعض الآراء في غموض الرّمز وإبهامه فيقول« الرّمز هو أحد أساليب اللّغة في التّعبير الشّعريّ بشرط أن لا يتحول إلى لغز بل يجب أن يظلّ الرّمز على شفافيّة تنمّ عمّا خلفه أو توحي بمضمونه»(يموت، لاطبع، ص ٦٥، نقلاً عن محمد على الكندي، ٢٠٠٣م، ص ٥٨)

ويذكر الباحثون بأنَّ توظيف الرّمز يجب أن ينبع من قلب الشاعر متفقاً مع التّجربة الشعوريّة فضلاً عن أنَّهُ لابدّ أن يكون له ارتباطٌ بعصر الشّاعر وفقاً لما قاله عزّ الدّين اسماعيل«....تكون الرّموز التي يتسخدمها الشّاعر ضاربة بجذورها في التّأريخ... لا بدّ أن تكون مرتبطةً بالحاضر وبالتّجربة الحاليّة»(اسماعيل١٩٨١م، ص ١٩٩)

مفهوم الصّورة الفنيّة:

هناك عدد من التعاريف، عن الصور الفنية إذ لا يمكن تحديدُها تحتَ إطار واحدٍ فعلى هذا الأساس يتسنّى البيان بأنَّ تعريف السيد قطب من أجمع التّعاريف بسطة وفهماً فلقد قال في تبيان الصور الفنية: «الصور الفنية تنشأ عن الخيال، وكلّما كان الخيال خصيبًا كانت الصورة أجمل، وأروع(قطب، ١٩٦٨: ص٣٤)

هذا وأنَّ الدكتور زكي مبارك يوّضح الصّور الفنيّة في الشّعر على الغرار التّالي فيقول: « الصّورة الشّعريّة أثر الشّاعر المفلق الذي يصف المرئيات وصفاً يجعل قارئ شعره ما يدري أيقرأ قصيدة مسطورة أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود والذي يصف الوجدانيات وصفاً يخيّل للقارئ أنَّهُ يناجي نفسه ويحاور ضميره لا أنَّهُ يقرأ قطعة مختارة لشاعر مجيد والصّورة الشّعريّة لا تكمل إلا حين يحيط الوصف بجميع أنحاء الموصوف(زكي مبارك، ١٩٢٦م، ص٦٤نقلاً عن آذرشب، ١٣٩٤ش، ص٥١)

ومن ثمَّ يتابع الحديث عن فضل الصّورة الشّعرية فيقوم قائلاً: « إنَّ فضل الصّورة الشّعريّة إنَّما هوتمكين المعنى في النّفس، لأنَّ غاية الكلام البليغ من نثر أوشعر إنَّما هي التّأثير والصّورة الشّعريّة لما فيها من تحليل المعنى وتعليله كافية في تحقيق غاية البيان.(المصدر نفسه، ص٥٢)

وهكذا ينفض مصطفى عبد اللطيف السّحرتي الغبار عن دور الصّورة الشّعرية حيثُ يذكر: « وتقوم الصّورة الشّعريّة بدورمهم في الشّعر الحديث وقد أصبحت في كثير من أنواع الشّعر لبنةً من لبناته لا أداة فقط من أدوات التّعبير ولكي تؤدي الصّورة دورها لابدّ من أن تساير الانفعال وتتساوق مع الفكرة وإلا كشفت عن زيف انفعالي أو زيف فكري(السّحرتي، ١٩٦٢م، ص٨٤ نقلاً عن آذرشب، ١٣٩٤ش، ص ٥٢)

وهكذا يرى الباحثون: أنَّ الصّورة الفنيّة من لوازم الشّعر الهامّة إذ تحمل على كاهلها دوراً بارزاً في إيصال المعاني المكنونة في نفس الشّاعر ففي حقيقة الأمر أنَّ الشّاعر لا يستغني عنها ما دام الشّعر لم يتحلّ بها كما أنَّها تضيف على قيمة شاعريته.

المقطع الأول من نص القصيدة:

ضبع تهاجم سرب غزلان فتهرب كلّها
رسمت حوافرهن عشرة أفرع في الأرض عشوائيّة
والضّبع تعرف أنّه لا وقت كي تختار فيما بينها
تختار واحدة لتقتلها

إيضاء على المقطع الأول من القصيدة:

هذا وأنّ الشّاعر في هذا المقطع قام بخلق صورة لها حظّ بالغ في الجمال والإبداع وهي صورة لضبع مع سرب من الغزلان إذ إنّه استخدم هذين الحيوانين ليرمز بهما إلى بعض القضايا السياسيّة المعاصرة التي يشهدها الوطن العربي ألا وهي الاضطراب

والخفقان والنكبات التى عمت بلاد المسلمين عموما وفلسطين خصوصا فالشاعر يبدو أنه اتخذ على نفسا عهدا أن يشهر سيف شعره البتار في وجه أعداء المسلمين. وهكذا يلاحظ أن المسلمين يطالبون بكافة حقوهم الإنسانية فلا يستجاب لهم مهما نادوا وصرخوا.

ثم يعقّب الشاعر قائلا إن هناك ضبعا يعرفها الكل فهي اشتهرت بشراستها وخبثها حيث تهجم على سرب الغزلان لتفترس واحدة منها دون أن تختار فالاختيار هنا لا يهما بل شاغلها الريئس، الهيمنة والنهش بما يقع فريسة مخالبها.

رمز الصور:

*صورة الضّبع: رمز لأعداء المسلمين بشكل عام وإسرائيل بشكل خاص.

*صورة السّرب: رمز للمسلمين الذين حل بهم الشتاب من كل حدب وصوب ولا يجدون لنفسهم من يقف إلى جانبهم.

المقطع الثاني من نص القصيدة:

حياة غزالة ومماتها أمر يبتّ بسرعة
لا تعرف الضّبع الغزالة، لا عداوة، لا تنافس
ربما لو كان يوما غير هذا اختارت الأخرى
حتّى بعد مقتلها، ستعجز أن تقول الضّبع إن سُئلت
لم اختارت غزالتها التي قتلت

إيضاء على المقطع الثاني من القصيدة:

يذكر الشّاعر تميم البرغوثي في المقطع أعلاه أنَّ ظاهر السّرعة لهذه الضّبع أمر في غاية الأهمية بحيث إنّها تهفو وتتلهف إلى هذا السّرب لتجعل واحدة منه فريسة لها ثم تأتي عليها والواقع أن الضبع اذا تُخيّر إلى أن تختار هذا السرب أو سربا آخر تجنح إلى السرب الذي فيه الوهن وعدم الوحدة وهذا حال وطننا العربي إذ لا نجدأمارة للوحدة فيه وبالتالي تقع إحدى البلاد منها ضحية في مخالب الأعداء.

المقطع الثالث من نص القصيدة:

ولكني أظنّ الضّبع تعلم جيّدا، بتوازنات الخوف
أنّ السّرب كلّ السّرب لو لم يرتبك، لو قام يركض نحوها
طحنت عظام الضّبع تحت حوافر الغزلان، مسرعة
فقط لو غيّر السّرب اتجاه الرّكض عاش جميعه

إيضاء على المقطع الثّالث من القصيدة:

إنّ هذا المقطع من الأبيات يحمل بين طياته إشارة إلى ذكاء وفراسة الضبع مع كونها ضعيفة ففي حقيقة الأمر يصوّر الشّاعر الضّبع أنّها عالمة بتوازنات الخوف والذعر المنسلّ في وحدة هذا السّرب إذ إنّه لو استعاد قوته للوقوف بوجه عدوه للنيل منه ولم يرتبك وهكذا لو توحّد أعضاؤه برمتهم ووراحوا يسيرون باتجاه هذا العدوّ متّحدين لكي يأتوا عليه لما تسرب الفشل للسرب ولعاش الجميع بسكينة وطمأنينة. وبالتالي تجدرة الإشارة إلى أن الشاعر في المقطع يريد حثّ المسلمين على أعدائهم بقوتهم الصارمة والوحدة الكاملة حتى يستعيدوا ما سلبه الأعداء منهم.

*صورة الضّبع ودرايتها بالخوف: ذكاؤها

*صورة تغيير اتجاه المسار صوب الأعداء: صورة للتوحد الشامل بين المسلمين من أجل الحياة وعدم تزعزع أركان دينهم.

المقطع الرّابع من نص القصيدة:

وأظن أنّ السّرب يدري باحتمال نجاته
لكن كلّ غزالة تخشى تخاذل أختها لو أنّها فعلت

فتخذل أختَها

والأخت خائفة هي الأخرى فتُسلم للرّدى تلك التي خذلت

فتحيا كلّ واحدة بفمردها

إيضاء على المقطع الرابع من القصيدة:

يعبّر الشاعر في هذا المقطع عما يجول في قرارة نفسه ودخيلتها من همّ وترح فيقول موجّها قوله لجميع المسلمين يا شجعان أمتنا كونوا يدا واحدة واسعوا ألّا يتسرب فيكم التخاذل والخوف واعلموا جيّدا أنَّ الفوز والنّصر حليفكم شرط أن تتوحّدوا ولكن إذا حصل عكس التّعاضد والتّناصر فستكونون ضحايا هذه الضّبع ويكمن سبب هذا العاقبة في عدم الاتّكال على أنفسكم والأمر الأهمّ منه، التوحّد.

المقطع الخامس من نص القصيدة:

وتُقتل كلّ واحدة بمفردها

ولكن ربما ولرحمة الله الكريم عباده

هجمت غزيلة على ضبع بلا تفكير

وتتابعت من بعدها الغزلان مثل تتابع الأمطار في وديانها

في هذه اللّحظات تعلم أنّ حسنا ما عظيما

سوف يأتي

إيضاء على المقطع الخامس من القصيدة:

كما سبق القول في المقطع السابق بأنّ الشاعر يدعو جميع المسلمين إلى التوحد التآخي نابذين التخاذل فيواصل القول أيضا في هذا المقطع وهو يسخر من عدوّ هذا السرب أي الضبع ويحثّ السرب عليها: إن الضبع أضعف من أن تنوي الوقوف أمام هذا السرب الجرار العظيم حيث لو هجمت غزالة صغيرة برباطة جأش على الضبع وتابع سائر السّرب الهجوم عليها لقضت عليها برفسة واحدة وبالتالي يكتب الفوز والنّصر الأبيض لهم عبر هذا الإقدام المحمود.

الصّورة:

ظهرت صورة الشّاعر في هذا المقطع بديعة جدا إذ شبّه هجوم سرب الغزلان، بتتابع الأمطار في الوديان والحال يقصد من التشبيه، القوة العظيمة التي تحصل بعد تتابع السّرب والأمطار وهي لا مثيل لها على الإطلاق.

المقطع السّادس من نص القصيدة:

ربّما ولدٌ يكلّم أهله في المهد أو يتنفّس الصّبح الذي في سورة التّكوير

لا أقصد التّشبيه أو سبك المجاز ولا أشير لثورة عبر البلاد

فقط أريد القول والتّذكير

هذا الكلام حقيقة علميّة يا أهلنا

الضّبع أضعف من فرائسها

وأخوف منهمو

بكثير

إيضاء على المقطع السّادس من القصيدة:

يختم الشّاعر قصيدته ذاكراخوف أعداء شعبه ومعتقداته حيث إنّهم لا يملكون بسالة وشجاعة شعبه مطلقا ودليل قوله على ذلك هو ما حدث وبان لنا في العصور المنصرمة من خزي هؤلاء الأعداء وإذلالهم بيد المسلمين وما رواه وكتبه لنا التأريخ عبر كرّ الزمن. هذا وأنّ الشاعر في هذا المقطع يطلب من شعبه وجميع المسلمين التآخي التآزر ويعتقد أن النصر حليفهم لا محالة.

أشار الشاعر أيضا في المقطع أعلاه إلى بعض الأحداث القرآنية ليخلق الأمل والإيمان في قلوب المسلمين على أنهم هم الأعلون شاء أعداؤهم أم أبوا فيذكر قضية النبي عيسى (ع) كيف يكلّم الناس وأهله في المهد وفق ما قال سبحانه وتعالى: **[وَيكلِّمُ النّاسَ في المهدِ وكهلًا]**(٤٦، آل عمران) حيث ينصر النبي عيسى (ع)والدته آنذاك عندما أراد قومها بها سوءًا ثم في التعقيب يذكرآية قرآنيّة دالّة على الأمل كالسابقة وهي التي أقسم الله بها في محكم كتابه **[وَالصُّبحِ إذا تنفَّسَ، إنَّهُ لَقولِ رَسُولٍ كريمٍ]**(١٨-١٩ التكوير) والدافع الرئيس من ذكرمثل هذه التناصات القرآنيّة، خلق الأمل والرجاء في جوانية شعبهم لأن يقف بعضهم إلى جانب بعضهم في السّراء والضّراء محققين النّصر.

النتائج:

بعد الغوص في أغوار القصيدة، يمكن الوصول إلى ما يلي:

- بان أنَّ الشاعر تميم البرغوثي له مواقف وطنية إسلاميّة بحتة لا سيمّا في قصيدته المسمّاة بمصر حيث يذود عنها بكلّ ما أوتي من قوة وبسالة.
- جاءت قصيدة مصر لتحثّ وتشجّع المسلمين الذين حلّ بهم الشّتات، إلى التآلف والتآخي والوحدة العزيزة تجاه أعدائهم.
- تجلّى أنّ الشّاعر يدعو إلى الالتزام بالوحدة متمسّكين بشريعة الإسلام وهي الاعتصام بحبل الله وعدم التّفرق والتشتت.
- مثّل الشّاعر من خلال المشاهد الطّريفة، صورة أعداء المسلمين على سحنة ضبع مفترسة فتغدو الغزلان فريستها السّهلة لعدم وحدتها حيث كلّ منها تسعى إلى أن تنقذ نفسها غير مدركة أنّ الفرار لا يجدي عليها خيرا والنّجاة لا يستتى لها إلا بالوحدة الشاملة ويقصد الشاعر من صورة الغزلان، واقع المسلمين وما حلّ بهم من شتات وتباغض وتشاحن.
- تبيّن أنّ الشّاعر أجاد فن خلق التّصوير في قصيدته إذ أعطى صوره صبغةً رمزيّةً وأتموسفيراً دينيّاً، سياسياً.
- ظهر أنّ الشّاعر استخدم صورة الضّبع ليرمز بها إلى أعداء المسلمين وصورة سرب الغزلان هي رمز للمسلمين وما حلّ بهم في الآونة الأخيرة من تقهقر وخلافات.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- آذرشب، محمدعلى، آذرشب، زينب، (١٣٩٤ش)، **النّقد الأدبي (محاولة تأصيل)**، طهران، منظّمة دراسة وتدوين الكتب الجامعيّة في العلوم الإنسانية(سمت).

٢- أبو زيد، أنطوان، (٢٠١٢م)، **مدخل إلى قراءة قصيدة النّثر**، الطّبعة الأولى، بيروت، دار النّهضة العربيّة.

٣- إسماعيل، عزّ الدّين، (١٩٨١م، **الشّعر العربيّ المعاصر**، الطّبعة الثّالثة، بيروت، دارالعودة.

٤- بزون، أحمد، (١٩٩٦م)**.قصيدة النّثر العربيّة**، الطّبعة الأولى، بيروت، دار الفكر الجديد.

٥- الحاوي، إيليا، (١٩٨٣م)**.الرّمزيّة والسّرياليّة في الشّعر الغربيّ والعربيّ**، الطّبعة الأولى، بيروت، دار الثّقافة.

٦- حمود، محمد، (١٩٩٦م.(**الحداثة في الشّعر العربيّ المعاصر**، الطّبعة الأولى، بيروت، الشّركة العالميّة للكتاب.

٧- خورشا، صادق، (١٣٩١ش)**.مجاني الشّعر العربيّ الحديث ومدارسه**، الطّبعة السّادسة، تهران، سمت.

٨- خيربك، كمال، (١٩٨٦م)**.حركة الحداثة في الشّعر العربيّ المعاصر**، الطّبعة الثّانية، بيروت، دار الفكر.

٩- زكي مبارك، (١٩٦٢م)، **الموازنة بين الشعراء**، الطّبعة الثّانية، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١٠- سالم الغوج، أحمد، (٢٠١٣م).**فنون التّعبير الأدبيّ**، الطّبعة الأولى، عمّان–الأردن، دار الفتح للدّراسات والنّشر.
١١- السّحرتي، مصطفى عبد اللّطيف، (١٩٦٢م)، **النّقد الأدبيّ من خلال تجاربي**، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربيّ.
١٢- سيّد قطب، (١٩٦٨م)، **التصوير الفنّي في القرآن الكريم**، الطبعة ١٦، القاهرة، دارالشروق.
١٣- العراقي، فائز، (٢٠٠٨م)، القصيدة الحرّة، محمد ماغوط نموذجاً، الطّبعة الأولى، لبنان، مركز الإنماء الحضاريّ.
١٤- عيد، يوسف، لاتأريخ.**المدارس الأدبيّة ومذاهبها**، الطّبعة الأولى، بيروت، دارالفكر اللبنانيّ.
١٥- كندي، محمدعلي، (٢٠٠٣م).الرّمز والقناع في الشّعر العربيّ الحديث، الطّبعة الأولى، بيروت، دارالكتاب الجديد المتّحدة.
١٦- مصطفى، فائق، (لا تأريخ).**في النّقد الأدبيّ، منطلقات وتطبيقات**، العراق، جامعة الموصل.
١٧- يموت، غازي، **الفن الأدبيّ أجناسه وأنواعه**.

الهوامش:

* ولد الشّاعر تميم البرغوثيّ بالقاهرة سنة١٩٧٧م من أب فلسطيني شاعر أشهر من نار على علم هو مريد البرغوثي، وأم مصريّة هي الكاتبة المبدعة رضوى عاشور.عمل أستاذاً مساعداً للعلوم السّياسيّة بالجامعة الأمركيّة بالقاهرةِ، ثمّ عمل ببعثة الأمّة المتّحدة في السّودان، كتب مقالاً أسبوعياً عن التّأريخ العربيّ والهويّة في جريدة الديلي ستار اللّبنانية النّاطقة بالإنجليزيّة لمدّة سنة من٢٠٠٣–٢٠٠٤م ومن مصنفاتِهِ يمكن ذكر: ١الوطنيّة الأليفة هو الوطن وبناء الدّولة الوطنيّة في ظلّ الاستعمار صدر عن دار الكتاب والوثائق القوميّة بالقاهرة عام٢٠٠٧م.٢ له كتاب بالإنجليزيّة عن مفهوم الأمّة في العالم العربيّ وهو تحت الطّبع كما له أربعة دواوين باللّغة العربيّة الفصحى وبالعاميتين الفلسطينيّة والمصريّة هي:

١. مينجا عن بيت الشّعر الفلسطينيّ برام الله عام١٩٩٩م.
٢. المنظر، عن دار الشّروق بالقاهرة عام ٢٠٠٢م.
٣. قالوا لي بتحب مصر قلت مش عارف، عن دار الشّروق بالقاهرة عام ٢٠٠٥م.
٤. مقام عراق، عن دارأطلس للنشر بالقاهرة عام ٢٠٠٥م.(خالصة رواق، حوار المذهب والثّورة في شعر تميم البرغوثيّ قراءة في قصيدة نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمّة، ص ١٣)